الفلسفة الوجودية في شعر التفعيلة

الدكتور حازم سليمان الناصر

استاذ الفلسفة المساعد في قسم الفلسفة في كلية الآداب / جامعة بغداد

المقدمة:

أن الوجودية (1)، أولاً وقبل كل شيء، مذهب يبحث عن معنى الإنسانية لأن البحث عن معنى الإنسانية ضروري في عصر ضاع فيه هذا المعنى، والوجودية تنظير إلى الشخصية الإنسانية على أنها لوحة تقوم الإنسان برسمها بوماً بعد يوم ولونا بعد لون ولمسة بعد لمسة وعليه فإن الإنسان يرسم نفسه ويكتبها ويعنيها أو غير واع واقعاً أو غير واقع سعيداً أو شقياً، كما يجسد فيها فقهه ويأسه ومعاناته، وذلك معان لا يعبر عنها إلا من يملك خيالاً وحساً ضرقاً، وهذا ما نجده عند الشاعر الذي يقول عنه الناقد (كولرودج) (2) لم يستطيع أن يصبح شاعراً كبيراً دون أن يكون فلسوفاً عميقاً، لأن الشاعر نتاج معارف الإنسانية جمياً (3)، وعلى الرغم من أن لا يكون الشاعر فلسوفاً حسب وإنما أن يكون فلسوفاً صادقاً، أما إذا كان شاعراً.

أن الشعر يستهدف حقيقة الشعور، فالشعراء يدركون الحقيقة، بناءً على أضواء من أخيلتهم على العالم الخارجي ويعتقدون أن ما يراه الخيال جمالاً وحقيقة. فضلاً عن ذلك فإن الشعر يتنصي للتجربة تجربة الشاعر بكل أحاسيسها.

(1) بيّن في أكثر من بحث مفهومها وتنشأها وتطورها وأهم روادها وأهم مؤلفاتها، انظر رسالتنا في الماجستير (الوجودية في الفكر العربي المعاصر) جامعة بغداد، قسم الفلسفة 1995.
(2) حسن طفي: الشعر والفلسفة (مقال) مجلة الكتب المصرية، دار المعارف للطباعة والنشر، ص 96، السنة الخامسة 1950، ص 513.
وأنفعالاتها الثقافية والأجتماعية والتي لا بد أن تجسد في التعبير الذي يستقر في الذهن والحواس والمشاعر بقوة ووضوح ودقة وفورية دامغة بالحياة (1).

من هذا المنطلق، نرى أن الفلسفة الوجودية تعد من أقرب الفلسفات إلى الشعر، والشعر أقرب الفنون إلى الوجودية. لأن الشعر والفلسفة صورتان للتعبير عن الوجود، أحدهما عند الإمكان (الشعر) والأخرى للتعبير عن الأنيمة (الفلسفة) والوجود إمكانية وآنية معا وعليه فالشعر والفلسفة متكاملان ولا غنى للواحد عن الآخر (2).

وقد أختننا الفلسفة الوجودية كتيار فلسفية معاصر، برزت بشكل ملحوظ للنظر بعد الحرب العالمية الثانية، وتائرت بها أغلب المعارف الإنسانية من أدب وفنون. بل حتى الساحة السياسية والأجتماعية تأثرت بها، وبرزت في الفترة نفسها تيار شعري في الوطن العربي، كما له أنصاره أطلق عليه (الشعر الحر) والتسمية الصحيحة له شعر التعفيلة.

وفي بحثنا هذا، نوضح أثر الفلسفة الوجودية في شعر التعفيلة في العراق،

وبما أن لهذا الشعر رواداً له لا زالوا يرتقون هذا الأذهان بقصائدهم ذات التعفيلة الواحدة فسيكون من الصعب علينا تقييمهم في هذا البحث المتواضع لذالك فضلاً عن التأكد على رواد هذا الأذهان ولا سيما البهاء، وناذك الملائكة وعبد الوهاب البياني، وبلج الحيدري عبر التأكد على أهم المفاهيم الوجودية التي أنتشرت هناك وذلك في قصائدهم على أمل أن نطور هذا البحث مستقبلاً لتشمل بقية الشعراء العراقيين المعاصرين الذين أهتموا بشعر التعفيلة.

(1) شليش، علي: الفكر الشعري، مقال، مجلة الشعر القارية، ج 3، العدد 12، السنة الأولى.
(2) ندوة عبد الرحمن: الأنسانية والوجودية في الفكر العربي، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1347، ص 167.
من رواد الشعر العربي الحديث، أمتاز بنظرة واسعة في معالجة القضايا الإنسانية، وهو شاعر موهوب أهمي بالانسان الذي ضل يبحث عن ذاته في هذا العالم، ولما كان الشاعر يعاني من استلابات نفسية واجتماعية بسبب ظروف السياسة والاجتماعية فقد سارع نحو تحقيق وجوده بدم جماعة في أقصى ظروف القرن والخمران (4). فأخذ سبلاً عديدة، فلم يترك طريقاً آخر وسلكها ولا فكرها إلا وأقنعها، إذا وجدنا يقول: ( لقد رافقتك (جلجامش) في مغامراتك (5) وصاحبتي عويس) في ضياعه وعشت التاريخ كله ما يكون إلا (1).)

إن أشهر المفاهيم التي يهتم بها الشاعر، يهتم بها الشاعر، في أشهره هو (الموت)، ذلك الإحساس الذي لم يفارق يوماً هاجس السيباب، بل أنه يخاف منه، وأن أعلن فيما بعد أنه، لن يخافه بعد الآن، بل أن موقفه من الموت قد تغير (6) على كل حال يقول السيباب في الموت:

الموت في الشوارع
والعمق في المزارع

(1) أنقر رصاندا في الدكتوراه، التقشفة الموجودة في الرواية العربية المعاصرة، التمديد في كل
فصل من صولتها.
(2) شاعر عماني وله في النصرة (جيكور). عام 1926 - 1924.
(3) علي عبد الرضا: الأسطورة في شعر السيباب، منشورات وزارة الأعلام، العراق 1978، ص 103.
(4) رسالة من السيباب إلى عاصم الجدي بتاريخ 11/9/1993، أنقر الغربي حسن، كتاب:
السيباب الشعراوي، منشورات مجلة الجوهر، المغرب، 1989، ص 188.
(5) المصدر نفسه، ص 188.
(6) المصدر نفسه، ص 136.
وكل ما نحبه بموت
والموت يصير عند السبئ طائراً أسطوريا يشرح بوحدة العالم وانسجامه
ويضع دراية الوجود تجاه الخطىطة الأصيلة والنعمه والخوف.

كأن طائر بحر غريب
طوى البحر عنده المغيب

********

وحدثت في ناظريك
هو الموت والعالم الأسل
هو المستحيل الذي يذل

وبالسياق من الشعراة الذين عاصروا تيار الأدب الوجودي فأطلق على فلسفة

هذا التيار، ولا سيما، أنه عاشق ومحب الفلسفة جعله يميل إلى الفلسفة

الوجودية، أكثر من غيرها من الأفكار الفلاسفة الأخرى، ولعل لوضعيت

الмыслائي والصحي وحلة الحرمات التي كان يعيشها داراً في ذلك التوجه، ومن

المفاهيم الوجودية التي بعث بها إلى جانب ( الموت )، الغرية التي تجدها مشرفة

غريبة ذاتية تتجسد فيها الحنين للوطن.

الباب تقرعه الريحان لعل روحنا منك زار
نحيطة بابك معذب في عبقريته الحنين

أمام عينك ترعين

أنه يتميز من أم الغربة فقول عنها

غربيا كنت حتى حين أحلم، ليست في جيمرك

(1) السبئ، بدر شاكر، ديوان بدر شاكر السبئ، المجلس الأول، دار المودة، بيروت، 1984.
(2) السبئ، بدر شاكر، شاعر دة الجليلي، ديوان، قصيدة الباب تزرعه الريحان، ص 62.
(3) المصدر نفسه قصيدة من لباني السهاد، ص 319.
ولا بغداد، أمشي في صحاري قلبي السمر
يريد الماء فيها (ماء .. أين الماء؟) وهي تربة أفراها
على أفقتها الريدة ظلما تشرب النيجر
فلأ تروي، أقضي العمر في صحراها في ليل من العطش؟
فلو أروع تصوير للغابة عند السياج يمثل في الأبيات الآتية (1):

فهل أستطيع الخطوات؟ أصرخ أليها الإنسان
أخي، يا أنت يا قابل .. خذ بدي حتى العمة
أصرخ في شوارع نجد الصماة: هاتولي أهباتي
هاتولي أهباتي ٢٢
ولو أنني صرخت فمن يجيب صراخ منتشر
تمره عليه طوال الليل ألف من القطر

إن الظروف المعاشية والحالة الصحية للسياب، جعلته يعيش حالة الغربة
بكل أبعادها، فإن غريته الحقيقية لم تتكون غربة المكان أو الحب أو غربة سياسية،
بل هي غربة وجودية حقيقية تعش مع السياج في كل مكان سواء كان ذلك في...
جيكور أم خارجها أم خارج الوطن، ولهذاً هذا بين ووضوح في قول ابنه غيداء
التي يقول (كل الدراسات التي نتناولها حياة أبي غير دقيقة وعيدة عنه) كان أبي
بحس بالغربية حتى في جيكور (2)، وهذا ما يذكرنا بغيرا (مروسو) ببطل
الغريب لابير كامو، حيث كان يحس بالغربة في بيته وفي دبلالة عمله،
ومشاعره تجاه الدته (3).

---

(1): السياج، بدر شاكر: منزل الأفلام (ديوان)، مصيدةسفر، ص ٢٥٥ - ٢٥٦.
(2): أتارد أصلها في جريدة القاسي بقربان ل ٢٥ /١٢ /١٩٨٨، ص ٢.
(3): كامو، أتير: الغريب: ترجمة عيدة مطرجي أديس، دار الأدب البيروتية، ط٢، بيروت
١٩٧١. تأثري القسم الأول، ص ١٥٩ - ٢٠٠.
حتى أنه بسبح هذه الغريزة الذاتية يحس أنه لا جسد ولا روح، بل أنه يعاني، حتى أن الحياة أصبحت لا تعني له شيئاً ما، ولعله إحساس يمتزاز به أغلب الفلسفة الوجوديين وفي مقدمتهم (سوريين كيركجارد، موسس الوجودية الحديثة وجان بول سارتر والبيركامي وغيرها) من رواة الوجودية على هذا الأساس نجد يقول (1):

ِيا غرية الروح في الدنيا من الحجر
واللثج والقار والعقول والضجر
ِيا غرية الروح .. لا شمس فانلتقت
فيها ولا أفق.

لقد شعر السياق بغريزة الوجود منذ فتح عينيه على هذه الدنيا فعذب مأساة غريته الأبدية عن أمه وأبيه وعن جدته، ولعلنا نجد في ديوانه (أزهرز دايانة) البداية الحقيقية لإحساسه بالغريبة نتيجة المعاناة التي عاشها السياق في بداية حياته من فقر وتم وأختلف إجتماعياً، فنجد في قصيدة السوق القديم أحساس السياق بالغريبة وهو يبحث عن وجوده العاطفي والأدبي في البصرة ولا سيما أنه يحس بأنه ابن ريف حلي غريبا على المدينة، من أجل كل هذا يقول في هذه القصيدة (2):

ِالليل ، والسوق القديم
خفيت به الأصوات لأشباح المباهرين
وخطى الغريب وما تثبت الرياح من نغم حزين
وفي ذلك الليل الهميم

(1) السياق، بدر شاكر: استذكار أبنة الجليلي (ديوان) قصيدة غريزة الروح، ص 260.
(2) السياق، بدر شاكر: أزهرز وأساطير (ديوان)، ص 260.
ولعل العربية الذائبة، تتجسد عند السيب في قصيدة (غرب على الخليج) (١) 
وا حسرته متي أتام
فأحس أن على الوسادة
من لينك الصيني طلاقة عطرك يا عراق ?
بين الكوى المتيفيات خطاي والمدن الغريبة
غنبت تريبت الحبيبة
وحملتها فان السحيب يجره في المنفى صليب
نارك الملائكة (٢)

أما نارك الملائكة، فقد كان للفلسفة الوجودية أثر واضح في قصائدها، بل
انها تستخدم أهم المفاهيم الوجودية وأدقتها، إلا وهو التأكيد على (الذات
الإنسانية)، فهي تتح على هذه المسألة في أغلب قصائدها، وهذا ما يضح لنا في
قصيدة (الخيل المشدود في شجرة السرو) (٣).

ها أنا عدت وقد فارقت أقداس ذنبي
ها أنا ألمع بعينيك تطل
ربما كنت وراء الباب، أو يخفك ظل
ها أنا عدت وهذى السلم
هو ذا الباب المعميق اللون، ما لي أحلم؟
لحظة ثم ارها
لحظة ثم اعي وقع خطاها

(١) السيب، بدر شاكر: ديوان بدر شاكر السيب، المجلد الأول أنشوادة المطر (ديوان)،
ص ٣٢-٣٢١.
(٢) ولدت في بغداد ١٩٣٣، وتخرجت من دار المعلمين العالمية ١٩٤٤، وهي من رواد الشعر
العربي الحديث إلى جانب السيب، لها عدة دواوين منها عاشقة الليل، شطيات وردام،
قرارة الموجة، النغ.
(٣) الملائكة، نارك: شطيات وردام، مشورات المكتب التجاري للطباعة، بيروت،
١٩٥٩، ص ١٦٦.
لكن... فالأطراف الباب
نلاحظ في هذه الأبيات، أن إحساس نازك بالذات احساس قوي بالـ "مقتاز"
يكون احساساً سرفاً، وربما يعبر عن تجربته الحياتية، ودليلاً على ذلك، إنها
كتبت قصيدة تبين اعتزازها الجزء الذي جاءت به (أنا) (1)، تقول فيها:
في 질문 من أنا؟
أنا سرة الفتق العميق الأسود
أنا صمتته المتمرد

******
والريح تسأل عن أنا
أنا روحا الحيران انكرني الزمان
أنا مثلها في لامكان
والدهر يسأل عن أنا؟
أنا مثله جبارة أثري عصور
أعود أمنحها الانتشار

أن قاري، نازك يتبسم تفاؤلها الفكرية، وهذا ليس يغريب عنها،
ولا سيما أنها نشأت في بيت عائلة مثقفة، فهي في نصائح الشاعر الناشئ تقول:
له: (أول ما ينبغي أن تدركه، أن الشاعر، وأن الشعر وظيفة خيرة يؤديها إلى
الحياة والكون، وقد ليس للشعر فلسفة خفية، بل أن تكون من مصادر القوة
والجمال في هذا الوجود، وعشق في ذلك شأن الشعر الذي يثير المسافات الخاملة
في ظلال الليل.) (2). وهذا ما يذكرنا بالطريقة التي كان يفكر بها رائد الفلسفة
الوجودية الحديثة (سوريك كاجارد) من حيث تأكيده على أدوات الإنسانية
والإلحاح عليها إلحاحاً مفرطاً، بل أنه يتوصل من خلالها إلى السر الإلهي وربما

(1) المصدر نفسه، ص 87، 498.
(2) الملاكية، نازك: سايسكيجية الشعر ومقالات أخرى، دار الشؤون الثقافية ووزارة الثقافة
والاعلام، بغداد 1993، ص 105.
يعود هذا الإلحاح إلى التجربة الحياتية المعانية وعلاقته مع خطيبته التي تركتها لاحسانسه بأنها تعيشه عن أداء دوره الدينى، أي أنه يشعر بالوجود السوفي (1) الذي تشعر به ويئفرا قصيدة زنبق صوفية للرسول تثير على الفؤاد بما يشبهه جزء الوجود السوفي، وفي تردد اسم الرسول ترددًا أبقاعًا بأجواء الذكر والذينان السوفي (2).

أحمد، أحمد، أنا وأنت، الطبيعة، البحر... جو موعد شمعة نذر في خاطر المرتفع تتوقد والله في حلمنا المورد شباك المسجد.

لعل تلك يعود إلى نارك، التي وضعها نفسها في سجن إختياري هو سجن الذات، لأنها إعتزات الآخرين منذ بداية شبابها وتبرعت إلى نفسها للكتابة، وتصرف البأس أنها، فتحس أنها فقد كل شيء، وأصبحت حزينة ينتابها البأس ويعتربيها الأم، وأحسن تصوير لهذه الحالة نجدها في قصيدة (يوم وعدي) (3).

وأذا كانت غزية الشاعرة غزية عاطفية فأن غزيتها الفكرية أقيمت فكانت ماردجة بوجه الوجود وخطيئة البشر، فهي تعاني من هذه الغزية وتريد التخلص منها ولكن لا سبيل إلى ذلك إلا بالرحيل داخل (الذات) على الرغم أن هذه الذات التي تبحث عنها غارفة هي الأخرى في لجة الوجود والبشر، إذا نجدها تقول (4): أحب وأكره... حبي شقاء

(1) عبد المعطي، علي: سورين كيرككارد (مؤسسة المديحية) دار المعرفة الجامعية مصر، بلا تاريخ، ص 60 - 69.
(2) الملاقعة، نازك ديوان (غير أنثر البحيرة) (مينصور) وزارة الأعمال العراقية ط 1، بغداد 1977، ص 70 - 71.
(3) الملاقعة، نازك: عاشقة الليل (ديوان)، مطبعة دار العودة بيروت 1977، ص 420 - 421.
(4) الملاقعة، نازك: شفاطا ورما، قصيدة صراع، ص 34.
لحب وأكره . . . كره ألم
فقيم أعيش ؟ سمعت البقاء
وشاق حياتي صمت العدم

أن الشاعرة تحس دائماً بغيتها الذاتية، الذي يتجسد في ضياع الإنسان في خضم هذا الكون، فهي تسام من الحياة، لذلك تعلن نورتها عليها وعلى الزمن، لأن روافد غريتها مكانية زمنية في أن واحد مع هذا فهي لا تواجه الواقع ولاتصطلد (بصخرة سيزيفية) (1)، لأنها أدرك جيداً عمق الألم والأحزان الذي يولد لها لهذا الواقع، ولذلك تسعي دائماً للهروب إلى عالم آخر لا نجد إلا في الأحلام أو في مدن خيالية (يورتوبيا)، ويلح عليها سؤال الفعد، ومن تكون؟ وماذا فعلنا؟ ثم لماذا ينبغي أن تكون؟

وها نحن، حيث بدأنا، نحوب الظلام البديع شتاء يموت، واسئلة لم يجيبها ربيع حياءر العيون يسألنا غفناً من تكون ويثركنا أمساً المنطوري في ضباب العيون فيها ليل يا بحر، أي نضيع؟

هذه التساؤلات، تولد اللقب المشروع أزاء هذا الكون، عن دورنا فيه، وما هي الأعمال التي يجب أن نقدمها.

المقصود بها العمل بدون جدوى، وسبيزيف الذي يدرج صخرة من أسفل الجبل إلى أعلاه.وعندما يحمل القلم تدرج الصخرة إلى الأسفل ويكرر هذه المحاولة لحسن دون جدوى وهي أسطورة يونانية تحكم فيها الآلهة على الشخص الذي يطير عليها ويرفع إنزاعه بالصيحة فتحكم عليه الآلهة هذا الحكيم وصارت كاموفي أروع تصور في قصة سبيزيف. أنظر كامو، أليبي، أسطورة سبيزيف، ترجمة آنس زكي حسن، منشورات مكتبة الحياة، بيروت 1979.

(2) الملكية، نازك: قراءة الموجة، ديوان، دار النهدة، بيروت 1987، قصيدة البارون، ص 303.
وهل هذا الفلك يدفع شاعرنا إلى تجربتها الصوفية التي جاءت عبر مخالض
ومجاهدة نفسية عمقتها بروئتها الباطنية للأخرين والوجود.

الشاعر (عبد الوهاب البياتي) (1):

أما الشاعر عبد الوهاب البياتي فيجعل الإنسان محور فلسفته تلك الفلسفة التي تعتمد على الحرية والحب والحياة، لكنه يريد أن يغلب على هذه الفلسفة طابع التضحية في سبيل الآخرين، أي أنه ينادي بتوحيد الجهود للوصول إلى الغاية القصوى والهدف النهائي للإنسان، والذي يمكن سعادته، وهو لا يكتفي بـ
يندعو إلى إنسانية الإنسان، بل يدعو إلى إنسانية الشعر (2)، لا تطالبه أومـ
النقد، الشاعر في رؤية يقودكم، سامان، من انفككم عبر التفاعلات.

ولا يقاد كالحصان في سراح
فتخضوا يا سادي الجبهاء
لأكم لم تعرفوا - أواه -

يرى البياتي أن الذات الإنسانية، تتحدى العالم وعبثية الأشياء المتمددة فيه أكثر تكرارها وانتشارها الأذى الأدا مجي - كأنه ينكرنا هنا بصخرة
سيزف ويتأكد من ذلك حساسه بعبثية الوجود عبر مجازفته مع آشياء الوجود
وقيم العالم، فأصابه الضجر من كثرة التقييز المزيف فيقول (3):
شربت من خمر الأحزاء، ورأت في نهاري ليلة النجوم
أكلت من طعامه المسموم
اصبت بالخسمة والحمى بالضجر

(1) ولد عام 1926 في بغداد، تخرج من دار المعلمين العالمية 1950، له عدة دواوين فيها ملائكة وشبابين 1950، أبواب مهيئة 1954، الناز والكلمات 1964، سيرة ذاتية
لمرأة الناز 1974...

(2) ميخائيل، لما طانوس، المصدر السابق، ص 238 - 239.

(3) المصدر نفسه، ص 267.
أصبحت في بلاط هجر
صغراً يدور في الفراغ، آلة تدار
وتلمس تأكيداً على الذات في قصيدة (مسافر بلا حقة،) التي يقول فيها (1):

وانا مدقي - في الريح اسمها تدريني ( تعالى !)
عبر التلال
وانا والآف السنين
مثاثب، ضجر، حزين
من الامكان
تحت السماء
في داخلي نفسى تموت، بلا رجا
وانا والآف السنين
مثاثب، ضجر، حزين

إن الأمل يتضائل ضموه أمام مستقبل الشاعر، بلى إنه يشعر بإسهام في كل
خطوة (2).
نفس الحياة بعيد رصف طريقها، سام جديد
اقوى من الموت العيني
تحت السماء
بلا رجا
في داخلي نفسي تموت
كالمقهى


(2) اليدحي، عبد الوهاب: أبريق مهشمة من ص 20 - 21.
نفسي تموت
وعلى الجدار
ضوء النهار

إذاً لا نجلي لأن النهار
سأكون لا جدوى، سأبقى دائماً من لا مكان
لا وجه، لا تاريخ لي، من لا مكان

إنه صورة قائمة تشكل إعتراف إغلاق على الذات نتيجة الظروف الاجتماعية
والسياسية التي كان عيشها الشاعر في تلك الحقبة المبكرة من عمره في ذلك
الزمن، وعندما جعلت منه شاعراً متشدداً مطرازاً داخل الوطن وفي الخارج مهجراً
إلى ذاته ومناخاتها وقد صورها في (منكشبات مجهولة)،

واشب الليل الطويل
والموت في الريف العراقي الحزين

وكان جدي لايزال
كالكوكب الخارجي على قيد الحياة

أما احساس البياني بالغربة فقد جاء مبكراً والاغتراب عنده بدأ عندما يلقي
الناسن مصيره وحيداً، ويرافقه محتشه بمفرده، وقد شبه الناسن المنقطع بقطرة
المطر الوحيدة المنفردة، وظلماً لما رد هذا المفهوم في الكثير من قصائده ولاسيما
في حواراته عشاق في المنفى.

وانا
وانا؟
انها وحيد

كفطرة المطر العقيم - أنا وحيد

(1) البياني، عبد الوهاب، منكشبات رجل مجهول، ص 11...
(2) المصدر نفسه، قصيدة عشاق في المنفى، ص 52...

219
وهؤلاء

مثلين وهم يتربون فوقهم عبر الجدار
مثلين وهم يقبلون على انتظار

على الرغم من كل ما قدم، فإن البياتي قد تأثر ببعثة كسام وكاسيما في
ديوانه (إباريق مهشمة)، ويتضح ذلك في قصيدة المنفى التي يقول فيها (1).
عبثنا نحاول، إيها الموتى - الفرار
في مخلب الوحش العين
من وحشة المنفى البعيد
المخبر الصمام، للوادي - يدحرجا العبيد
سيريف (يبعث من جديد - من جديد
في صورة المنفى الشريد

(1) البياتي: عبد الوهاب، إباريق مهشمة، ص. 102-103.
 أما بلند الحيدري، فهو رابع شعراء الرواد، وكان له دور متميز في شعر التفعيلة، بل أنه يقدم على بقية الشعراء السابقين من حيث التأثير في الفلسفة الوجودية لإننا نجد عنه حساً وجودياً يتمثل في تأكيده الدائم على ذاته فضلاً عن ذلك فهو يعكس ذلك في أشعاره، فهو يعكس معاناته الداخلية ويعبر عنها شعراً وكثيراً ما يستخدم الحيدري المفاهيم والمصطلحات الوجودية، بل إنه بكثر من استعمالها، وهذا ليس غريباً عنه، فالحيدري من أصحاب جماعة (الوقت الضائع) (1)، وهي جماعة من الشباب العراقي تأثرت بالفكر الغربي وفننه وتتأثر به تأثيراً قوياً ولا سيما بالتيار الوجودي، لذلك جده يسير على خطى ما تراه للفلسفة الوجودية في هذا الموضوع فيقول في قصيدة ( كالغوغلا) (3) :

أمسك
أن بقبي قي
وان هواك ممل
وان هنا رغم السرير
هذا رغم السرير الصغير
سيرقد ببني وبيبنك ظل
يولون همسك عن القائي
ويغعل أمسك في كل شيء
ولحسنت أن لدي

(1) شاعر عراقي، ولد في بغداد 1926، وتوفي خارج العراق 1992، له عدة دواوين شعرية أمنها الأغاني الميتة 1951 وخطوات في الغربة وغيرها.

(2) هم جماعة من تأثرت بالفكر الغربي ومنهم القاضي نزار سليم، حسين مردان، والفنان جميل جمودي وأبراهيم البقين، وكانت تتلقي في مقهى اسمه ؟ (واق واق) بالقرب من ساحة عنتر، انطش، عربي، علي جواد، نزار سليم في تاريخ الرائدية القديمة للقصة العراقية 2 (مقال) : مجلة القلم، دار الشؤون الثقافية، العدد 12، 1988.

(3) الحيدري، بلند، خفقة، دار العودة، بيروت، 1974 ص. 20.
حديثا وبدلاً من
واكد كتلة لحم عتيق
عرق ثعلب هو لايفيق
- اثم - أحش بقليبي في

كم نجده عندنا احساسا دائما بالغربية والضياع والقلق، يسدها في قصيدة (الخلوة الضائعة) (1):

كان الشتاء يحز ارصفة المحطة
وتموت عاصفة كتطة
وعلى الطريق
يهتز فانوس عتيق
في حي قريتنا الضنية

ماذا سأفعل في المدينة؟
ومستمتي

ماذا ستفعل في المدينة؟
ستطع خلوقكم الغريبة في شوارعها الكبيرة
وسوف تحقق
الأزفات الصريرة
وسوف ينمو الليل في أجسامنا الضائعة

آمالا حزينة

أن إحساسا بالغربية لم يعد إحساسا بالغربية عن الوجود، بل أصبح غرابة عن الموجود البشري الذي ينظر إليه بشكراً واضحاً ولهذا يعود إلى نظرته

(1) الحيدري، بلاد : أغاني المدينة البيضاء وقصائد أخرى : (ديوان) نشرته التجارية والطباعة المحدودة، بغداد، 1957، قصيدة الخلوة الضائعة، وهذه القصيدة جاءت في ديوان (خطوات في الغربي) ص 123.
للآخر، فهو مختلف مع أبناء مجتمعه، فهو يرى من غير الضروري الارتباك بالآخرين، ويعبر عن ذلك في قصيدة ( ساعى البريد ) التي يقول فيها (1) :

ساعى البريد
ماذا تريد؟
اخطأت ....
لاشك فما من جديد
تحمل الأرض لهذا الطريد
وهلنا يذكروا بموقف سارتر نحو الآخر، ولا سيما في مسرحية ( جلسة سريعة ) التي تصور لنا أن الآخرين هم الجحيم، ولذ يعترف صراحة أنه متآثر بالوجودية عامة ووجودية سارتر خاصة (2).

ولعل أنقطعنا عن هذا الآخر يولد أحساسا عند بلد بالذات فيجاورها عبر رمز الاتصال ( البايتيف ) (3).

يرن ، يرن ، يرن ، يرن
من أنت
أنا أنت
لقد أخطأت . أخطأت ... أخطأت
لا أنت أنا
وأنا لا أعرف من نحن
هل نحن إثنان

(1) الحيدري، بلد: أغاني المدينة الميتة وقصائد أخرى ( ديوان ) شركة التجارة والطباعة المحدودة، بغداد، 1976، ص 73.
(2) سارتر : جلسة سرية، ترجمة هبة عبد المنعم جاهد، نشر التنشر المصرية، القاهرة، 1975، ص 99.
(3) الحيدري، بلد، رحلة الحروف الصفر ( ديوان ) ، دار المعرفة، بيروت، 1980، قصيدة، وحشة، ص 479.
أما جيل... أم جيلان
هذا الإهتمام بالذات عنده يتحول إلى عزلة سرعان ما يعتبرها صورة من صور الموت فيقول عنها:
هكذا أنت نموتي

(1) عشبة صفراء في ضفة موتي
(2) بل أن هذه الوحدة تحولت إلى يأس وسام عنده فيقول:

أركينتي
صخبأ أرحم في الطين وأمسى
بعد حين
لي مثل الناس صوتي
لي مثل الناس حسي
أركينتي
أنا الناس
والمصر التي يندهض صدري
ويتساءل الحيدري عن وجوده في هذا العالم والذي يرى أن لا جدوى
لوجوده بل يفر بعيدًا هذا الوجود، ولهذا الحساس الدهام بالغريمة والمذاب مما قاده إلى تأمل مينافيزيقي متشائم من هذا العالم وأشباه المتحركة الغنية بالنهاية والممات:

(3) وتسألت ما الحياة...

(4) فبدت كلمات صفيحة في شعوري

(1) الحيدري، بلند: أغاني المدينة الميتة، قصيدة وحذئي (ديوان)، خاليا من أركان السفرات، وانظر، الحيدري، بلند، خطوات في الغريمة، بغداد 1965، ص 77.
(2) المصدر نفسه، ص: 78 - 79.
(3) المصدر نفسه.
أنها حيّة وأنا عليها نحن غارق بحلم كبير
أخيراً يرى بلدنا هذا الإحساس والشعور بالشتهاد يعد إلى أوضاع العراق السياسية والإجتماعية قبل ثورة تموز 1958، وأنه على هذه الأساس كان يعكس معاناته الداخلية، وحاجته، فإنها وبعد أن تغيرت ظروف بلده، بوى أن تجريته نحو الآخر، وبعد أن عانى الغربة (العذاب الس-commercial) القائل تغيرت وتغيرت رؤيته الحضارية المستقبل، فأصبح الحب بدل التعزق والألم بدل اليأس، والانقسام يصير تواصلًا، والتعزق العنيف يصير أنجاسًا، ولن يغيب بعيد اليوم إلى عوالم اليأس والشكوك والدمام (1).

(1) ميخائيل، إماطليوس: المصدر السابق، ص 122 - 123.
الخاتمة:

لقد تأثر جيل الخمسينات والستينات في هذه الفلسفة التي أصبحت سمة العصر في العالم بعامة والوطن بخصوصا، حيث من النادر جدا أن نجد مفكراً وذكراً وفناناً وعلى مختلف الأصعدة لم يكن بنازع الوجودية في تلك الفترة وإن كان هذا التأثر بنسب متفاوتة لأن أغلب فئون الأدب الإنجابية قد تأثرت فيها وكان نشأة التقليد نصيب من هذا التأثر، ولكن الشعور بالذين اهتموا بهذا اللون مما يصعب دراستهم في بحثنا هذا، وعليه فقد تناولنا الرواد الذين كانت لهم الأسباب في كتابة شعر التفعيلية في العراق وربما في الوطن العربي وهم: بدر شاكر السباعي، نازك الملائك، الببتي، بندر الحيدري وتتأثر أعمالهم بالفلسفة الوجودية.

تتبعنا آثر الفلسفة الوجودية من خلال البحث في المواقف الرئيسية الفلسفية الوجودية التي تعد بمثابة الحجر الأساس للوجودية وعلى هذا الأساس نجد أن بدر شاكر السباعي بحب الفلسفة، وخاصة الفلسفة الوجودية، لأن كثيراً من مفاهيمه تعبير عن حالة الحرامان والوضع النفسي والصحي الذي كان يعيشه من المفاهيم التي نجدها في قصائد السباعي مفهوم (الموت)، ذلك الأحساس الذي لم يفارقه يوما حتى أصبح عنه طائرًا أسطورياً يبشر بوحة العالم ونسجناه كنور كان للأغتراب الذاتي الذي يجسد الحقائق الدائمة للوطن، لكن في حقيقة الأمر لم تكن غريبته، غريبة مكان أو غريبة سياسية، بل هي غيرة وجودية حقيقية مما أدت به إلى الاحساس بأن الحياة لا جدوى منها، فيما كانت نازك الملائك تتنحى على (الذات) التي تعد من أهم المواقف في الفلسفة الوجودية لأنها تحس بالذات احساساً مرفقاً رافقاً وجديداً لدى بها إلى اغتراب مطلق قادها إلى نزعة صوفية، فضلاً عن ذلك فهي بدأت تتعامل مع المواقف الوجودية مثل اليأس والحزن والكراب والوجود والغربة، كما يتمتع الفلاسفة الوجوديون الكبار، ومثلها كان بندر الحيدري يحمل تجربة اغترابه الوجودي بواعث تسام، وشكل اغترابه ذلك انفصالاً عن جذر الإنساني فلوك عند الضجر، والضياع، والقلق.